**تفسير الآيات من [13- 18]، المحافظة على حدود الله**

بحث فى علم التفسير

إعداد / شيماء عبد المجيد محمد زهران

قسم الدعوة وأصول الدين

كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية

شاه علم - ماليزيا

**shaimaa.abdelmajeed@mediu.ws**

**الخلاصة – هذا البحث يبحث فى المحافظة على حدود الله**

**الكلمات المفتاحية – المحافظه، حدود، يطع**

* **.المقدمة**

 **الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين ، سوف نقوم في هذا البحث بمعرفة المحافظة على حدود الله**

* **.عنوان المقال**

**وجه المناسبة**

**يقول ربنا -تبارك وتعالى-: {ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ} [النساء: 13-14].**

**هذه الآيات تأتي بعد آيات المواريث، وقبل آيات المواريث أحكام عظيمة ساقها المولى  يبين فيها حقوق اليتامى وحقوق النساء، وبعد أن بين هذا كله أراد أن يرغب، وأن يرهب في التزام ما أمر واجتناب ما نهى، كما هي عادة القرآن العظيم في أنه يربي القلوب على الإيمان الصحيح، يقودها من داخلها إلى حيث أراد الله لها من عزة ومن كرامة.**

**ب. المعنى الإجمالي:**

**هذه الآيات في مجملها معناها: أن الله  يقول: هذا الذي شرعته من نظام محكم في حق اليتامى والنساء، وما فصلته من نظام توزيع التركات، هذا نظام بلغ الغاية في الحسن، وبلغ القمة السامقة في الفضل، وهذه هي حدود الله، ومن تعدى حدود الله فقد ظلم نفسه، ومن التزم حدود الله فقد فاز فوزًا عظيمًا.**

**فيبدأ الله  بالترغيب في التزام هذه الحدود مبينًا أن الذي يطيع الله ورسوله فيما شرع من هذه الشرائع العظيمة كان مصيره إلى الجنات، حيث يحظى فيها بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر: {ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ} [النساء: 69، 70].**

**وهذه الجنات التي يكون فيها مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين هي جنات فيها من النعيم المقيم ما لا يعلمه إلا الله، تجري من تحتها الأنهار، وأهل الجنة لهم فيها الخلود لا بدي الذي لا ينقطع، ولا ريب أن من حصل على ذلك فقد فاز فوزًا عظيمًا.**

**أما الذي يخالف ما أمر الله، ويتعدى حدود الله، فهذا مصيره إلى النار، يبقى فيها خالدًا مخلدًا فيها، إن كان قد أنكر حدود الله، وكفر بما أنزل الله، أو له البقاء الطويل في النار، إذا كان من أهل الإيمان؛ ولكنه من أهل المعصية، وله في هذه النار عذاب فيه الخزي، وفيه الإهانة، وفيه الندامة، وله عذاب مهين.**

**ج. تعظيم حدود الله، والترغيب في المحافظة عليها:**

**تبدأ هاتان الآيتان بقوله: {ﯖ ﯗ ﯘ} يشير باسم الإشارة {ﯖ} وهي اسم إشارة للبعيد، واسم الإشارة للبعيد هنا معناه: أن هذه الحدود وهذه الفرائض، وهذه الشرائع التي شرعها لهؤلاء الضعاف من اليتامى والنساء بلغت حد الكمال. ومن هنا جاء التعبير بقوله: {ﯖ} أي: هذه تشريعات وصلت إلى القمة العالية التي لم تصل إليها تشريعات سابقة، بل ولم تصل إليها تشريعات لاحقة، تلك التشريعات يسميها ربنا بأنها حدوده.**

**و{ﯗ ﯙ} جمع حد، وهو الحاجز الذي يفصل بين شيئين، وتسمية هذه التشريعات بأنها حدود تعطي مزيدًا من التوضيح والتخويف والترهيب، فهي حد فاصل بين الحق والباطل، وبين الخير والشر، وبين الهدى والضلال، ومن لم يلتزم بما أنزل الله فقد تجاوز قدره، وتجاوز حده، وانتقل من منطقة النور إلى منطقة الظلام، ووقع فيما لا تحمد عقباه.**

**وهذه الحدود تضاف إلى الله، ومعنى ذلك: أن هذه الحدود ليست مجرد حواجز يضعها ملك من ملوك الأرض، أو سلطان من سلاطينها، أو صاحب قوة تردع المعتدين والمجرمين، إنما هذا ملك الملوك ورب السماوات والأرض المتصف بكل صفات الكمال والجلال، فتعدي حدوده ليس كأي تعدٍّ لأي حدود، لأن من فعل هذا عرض نفسه لغضب الله ومقته.**

**ثم يبدأ فيعمم فيقول:**

**{ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ} طاعة الله وطاعة رسوله  بمعنى: أن المؤمن يلتزم بتوجيهات الله ورسوله، وجمع اسم الجلالة مع رسول الله  فيه من التشريف والتعظيم والتكريم لرسول الله  ما فيه، فهو  المبلغ عن ربه أن مَن يطع الله والرسول فقد فاز فوزًا عظيمًا، {ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ} من أطاع الرسول فقد أطاع الله؛ فطاعة رسول الله  في الواقع ليست طاعة له هو لشخصه، وإنما هي طاعة لله  الذي أرسله لأنه  لا يشرع من تلقاء نفسه إنما يشرع بتشريع الله له: {ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ} [النجم:1 - 5] فهو  كما قال: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه» ومن هنا: جمع الله طاعته مع رسوله فقال: {ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ} وفي هذا أبلغ الرد على من يريدون الاكتفاء بما جاء في كتاب الله رافضين لسنة رسول الله . هذا يرد على هؤلاء الذين يريدون الاكتفاء بالقرآن، ويقولون فيه ما يكفينا ولسنا في حاجة إلى السنة، ولكن هذه الآية، وأمثالها مما جاء كتاب الله -بل وما جاء في سنة رسول الله  يبين أنه لا يمكن الاستغناء عن سنة رسول الله  لأنها هي البيان العملي لما جاء في كتاب الله  وإلا فكيف نعرف تفصيلات العبادات والمعاملات والأخلاق وما إلى ذلك من حركة الحياة الدائبة، وكلها جاءت مفصلة في سنة رسول الله  توضيحًا وبيانًا لكتاب الله .**

**أيضًا يبقى قوله: {ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ} في قول الله {ﯛ} هذا فعل مضارع، وهذا الفعل المضارع يدل على التجدد والحدوث، ومعنى ذلك: أن هذه الطاعة لله، وللرسول طاعة مستمرة متواصلة تواكب مسيرة الإنسان عبر مراحل حياته في كل خطواته وأنفاسه وأحواله لا بد أن يكون ملتزمًا بهدي الله ورسوله.**

**أيضًا يلفت نظرك الإظهار في مقام الإضمار، ذلكم أنه كان يمكن أن يكون التعبير هكذا: "تلك حدود الله ومن يطعه ورسوله يدخله جنات"؛ لكنه أظهر فقال: {ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ} وهذا الإظهار لمزيد الاعتناء، وليعلم المطيع أنه إنما يطيع إلهًا قويًا قادرًا عليمًا حكيمًا خبيرًا متصفًا بكل الصفات العظيمة، فطاعته فيها من الخير ما فيها، ومن السعادة ما فيها، وهي طاعة لا يقف فيها المؤمن يسأل ربه؛ ولماذا يبحث متنطعًا عن أمور في كل أمر يأمر به؟! ولكنه يطيع الله ثقةً في أن الله لا يأمر إلا بما فيه الخير، وبما فيه النفع، وهكذا رسوله  لا يأمر بأمر إلا وفيه الخير، وفيه النفع.**

**الذي يطيع الله ورسوله: {ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ} فيها من الترغيب ما فيها، فهي ليست جنة إنما هي جنات، والجنات جنة وجنات والجنة هي البستان العظيم وجنات الآخرة ليست كجنات الدنيا، إنما جنات الآخرة فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، هذه الجنات تجري من تحتها الأنهار.**

**قوله: {ﯠ} فمياه الأنهار في الجنات مياه ليست راكدة، إنما هي دائمة الجريان، فهي متجددة دائمًا، وهذه الأنهار تجرى من تحتها.**

**قوله: {ﯡ ﯢ} إنما يحمل من النعيم ما يحمل؛ لأنه يعني أن الجنة فيها قصور، وفيها أشجار، وهذه الأنهار تجرى من تحت القصور وتجرى من تحت هذه الأشجار، وكما قال ربنا: {ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ} [الزمر: 20] والأنهار جمع: نهر، والنهر: هو الماء العذب، وأنهار الجنة كثيرة، كما قال ربنا {ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ} [محمد: 15].**

**وهذا النعيم الذي عبرت عنه هذه الكلمات لا ينغصه إحساس بالزوال كما هو الحال بالنسبة لنعيم الدنيا، فنعيم الدنيا مهما عظم ترى أن المنعم إما أن يفارق هذا النعيم بالموت أو بالرحيل، فكل نعيم لا محالة زائل، أو أن يفارقه هذا النعيم فإن الحياة دول، يوم لك ويوم عليك، وتلك الأيام نداولها بين الناس، لكن نعيم الآخرة نعيم باق لا تحول عنه إنما هو كما قال ربنا: {ﯤ ﯥ}.**

**وقوله: {ﯥ} أيضًا يحتاج إلى وقفه؛ لأن هذا التعبير القرآني يعني: أن أهل الجنة منغمسون في هذا النعيم إلى أذقانهم، هذا النعيم محيط بهم من كل جانب فهم باقون في هذا النعيم أبد الأبدين وتعقيبًا على هذا النعيم الذي أعده الله لمن أطاعه، وأطاع رسوله يقول: {ﯧ ﯨ ﯩ}.**

**وقوله: {ﯧ} اسم إشارة للبعيد، وهي مبتدأ، والفوز خبر، والعظيم صفة، ومعنى ذلك: أن هذا الفوز ثابت باق لا يرتبط بزمان ولا مكان، وهذا ما تفيده -كما تعلمون- الجملة الاسمية، وهذه الكلمات التي نراها هي كلمات ثلاثة: {ﯧ}، {ﯨ}، {ﯩ} اسم الإشارة {ﯧ} هو اسم إشارة للبعيد، أيضًا كما نرى في قوله: {ﯖ} وهو بعد ليس بعدًا مكانيًّا، إنما هو بعد مكانة، ومنزلة، أي: وذلك الخلود، وتلكم الجنات بكل ما فيها قد وصلت إلى أعلى ما يمكن أن تتخيله من السمو والرفعة، والذي حكم بهذا، والذي عبر عن هذا هو الإله العليم الحكيم الذي لا تخطئ موازينه، فهو  حكم حكمًا عظيمًا بأن: هذا النعيم الذي أعده لمن التزم حدوده هو نعيم لا يقارن بأي نعيم يعرفه الناس في دنياهم، ولهذا أخبر عن اسم الإشارة بقوله: {ﯨ ﯩ}.**

**{ﯨ} من الكلمات التي يجب أن يعيها الإنسان المؤمن، وليعلم أنه في هذه الحياة إنما هو في مجال التسابق، ومجال التنافس، وعليه أن يبذل قصار جهده أن يسبق الآخرين، ولذلك نرى قول الله تعالى: {ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ} [الصافات: 61] ونرى قوله: {ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ} [المطففين: 26] فهذا العمل، وهذا التنافس هو تنافس مشروع يجب على الإنسان المؤمن أن يبذل قصارى الجهد حتى يحصل على ما أعد الله للطائعين من كرامة، ومن ومنزلة، فهذا ما يشير إليه التعبير بقوله: {ﯨ}.**

**ثم يأتي وصف هذا الفوز بأنه عظيم، هكذا كلمة "عظيم" في حد ذاتها تعني: أن هذا فوزًا ليس كأي فوز، وإذا أضفنا هذا إلى صيغة المبالغة العظيم لرأينا مدى ما في هذا الفوز من منزلة عالية.**

**د. جزاء من يتعدى حدود الله تعالى:**

**{ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ} عصيان الله والرسول والجمع أيضًا هنا بين الله والرسول يعني: أن مخالفة رسول الله  هي مخالفة لله  وأن رسول  حين يأمر بأمر أو ينهى عن شيء إنما يبلغ عن الله  وأن من أطاع هذا الرسول -كما ذكرنا- فقد أطاع الله.**

**قوله: {ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ} يدلنا ويرشدنا إلى أنه يجب أن لا تكون المعصية ديدن أهل الإيمان، وإنما عليهم أن يتنبهوا إلى خطورة، ووعورة طريق المعاصي الذي يقود إلى النار وبئس القرار.**

**وأيضًا سوف نجد الإظهار هنا: {ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ} فهذا أيضًا إنما هو من باب الترهيب من الوقوع في المعصية: {ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ} ويتعدّ حدوده هذا التعدي للحدود هو أيضًا هو جزء من معصية الله، ولكن هذا العطف أفادنا شيئًا آخر أفادنا خطورة ألوان من المعاصي، هذه المعاصي التي يرتكب فيها الإنسان خطأ جسيمًا ولذلك جاء قوله: {ﯯ ﯰ} من باب التنفير من الوقوع في المعصية؛ لأن الله  كأنه يقول له: هذا حد قد وضعته يجب عليك ألا تتخطى هذا الحد؛ لأنك إن تخطيت هذا الحد فقد وقعت في إثم عظيم وخطر جسيم.**

**وإذن: فتعدى حدود الله إنما هو من الكبائر التي يجب على الإنسان الواعي ألا يقع فيها {ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ} يدخله نارًا إدخال هذا الإنسان الذي تعدى حدود الله النار فيه من البؤس، ومن الشقاء ما فيه فهو باقٍ في هذه النار خالدًا مخلدًا فيها، والخلود في النار بالنسبة لأهل المعاصي يعني: البقاء الطويل فهؤلاء الذين تخطوا وتعدوا حدود الله  يدخلون نارًا يخلدون فيها أي: يبقون فيها فترة طويلة من الزمان إلا أن يكون هؤلاء العصاة، وهؤلاء الذين تعدوا حدود الله قد استحلوا ذلك. وبالتالي فهم من الكافرين المخلدين في النار وبئس القرار.**

**وهذا الذي يخلد في النار له عذاب مهين {ﯵ ﯶ ﯷ} -أيضًا- ترى في هذه العبارة ما فيها من الترهيب فهذه العبارة مؤلفة من مبتدأ ومن خبر ومن صفة، له هذا الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم، و{ﯶ} مبتدأ مؤخر، و{ﯷ} صفة للعذاب، وتقديم الخبر على المبتدأ أفاد حصرًا وقصرًا بمعنى: أن هذا له عذاب خاص به يناله، ويذوقه، ويتألم له، وهو عذاب موصوف بأنه مهين له، والإهانة هي الإذلال والصغار**

**المراجع والمصادر**

1. **ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، (تفسير القرآن العظيم) دار الراية للنشر والتوزيع، 1993م.**
2. **الشوكاني، محمد بن علي الشوكاني، (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير) دار الكتاب العربي، 1999م.**
3. **الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد الشنقيطي، (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) بيروت، دار الفكر، 1995م.**
4. [**أبو السعود محمد بن العمادي الحنفي**](http://www.adabwafan.com/browse/entity.asp?id=13149)**، (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) تحقيق: محمد صبحي حسن حلاق، دار الفكر، 2001م**
5. **الأندلسي، أبو حيان الأندلسي، (البحر المحيط) دار الكتب العلمية، 2001م.**
6. **أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين القنوجي البخاري، (فتح البيان في مقاصد القرآن) راجعه: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، إدارة احياء التراث الإسلامي، 1989م**
7. **أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، (الكشاف) دار الكتب العلمية، 2003م**
8. **الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، (جامع البيان في تأويل القرآن) تفسير الطبري، دار الكتب العلمية، 1997م**
9. **الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي, (روح المعاني) دار الكتب العلمية، 2001م**
10. **الجزائري، أبو بكر جابر بن موسى الجزائري، (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) مكتبة العلوم والحكم، 1994م**
11. **السعدي، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) دار ابن الجوزي، 1994م**
12. **الغرناطي، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي الغرناطي، (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) لبنان، دار الكتب العلمية، 1993م.**